المحاضرة الافتتاحية: لمحة تاريخية عن المخدرات

تمثل إساءة استعمال الكحول والمخدرات جزء من تاريخ البشرية فمنذ سبعة آلاف سنة قبل الميلاد تقريبا عرفت الحضارة السومرية بعضا من خصائص التخدير في نبات الأفيون فقد وجدت لوحة سومرية يعود تاريخها إلى الألف الرابعة قبل الميلاد، تدل على استعمال السوماريين للأفيون وكانوا يطلقون عليه (نبات السعادة)،وعرف الهنود والصينيون الحشيش منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، كما أن هذه النباتات المخدرة كانت معروفة لدى الاغريقيين الأوائل وأشير إليها في مواضيع عدة في إلياذة **هوميروس الأوديسة**.(**المهندي، 2013، ص 21**)، كما أن الدراسات تشير إلى أن الفراعنة قد عرفوا المخدرات منذ القدم واستعملوها كدواء واستعملوا ألياف نباتات القنب(الحشيش) في صناعة المنسوجات والحبال واستخدموه في احتفالاتهم الدينية.(**الحراحشة، الجزازي، 2012، ص11**)وأسموها "حشيش الساحر أو الشيطان"، وعرفوا "الخشخاش" وأسموه "أبو النوم" واستخدم لتسكين الآلام وفي أغراض متصلة بالنواحي الجنسية، حيث جرى وصف خواصها الدوائية من قبل الأطباء العرب القدامى في القرنين العاشر والحادي عشر. لذا فاستخدام المخدرات قديم قدم البشرية حيث عرفته أقدم الحضارات في العالم.كما اعتبرت الكحوليات من أقدم المواد التي تعاطاها الإنسان، وتعتبر الصين من أسبق المجتمعات إلى معرفتها وتصنيعها منذ عصور ما قبل التاريخ، فقد عرف الصينيون القدامى عددا من عمليات التخمير الطبيعية لأنواع مختلفة من الطعام، أما بالنسبة للأفيون ومشتقاته فقد أشارت بعض المراجع إلى أن الاستخدام الطبي للأفيون ومشتقاته عرف منذ ما يقرب من سبعة آلاف سنة قبل الميلاد.(**سويف،1996، ص28**)

أما القنب فيشير التاريخ إلى أنه استخدم عدة استخدامات فقد صنعت من أليافه الحبال وأنواع من الأقمشة المتينة، كما وصفه الأطباء لعلاج أمراض بعينها، واستعمل لأغراض دينية، وللتغلب على الجوع والعطش، واستعمل لأغراض ترويحية.

وأما الكوكايين فقد عرف هذا النبات في أمريكا الجنوبية منذ أكثر من ألفي سنة، وفي عصور ازدهار قبائل "الإنكا"، وكانت أوراق الكوكا تعتبر شيئا ثمينا، وكانت تحجز عادة عن العامة لكي يبقى استخدامها وقفا على النبلاء.(**سويف، 1996، ص33**)

حيث عرف الإنسان المخدرات منذ فجر التاريخ، وقد سجلت كتابات المؤرخين أن الإنسان منذ العصر الحجري توصل إلى اكتشاف نبات الخشخاش (الأفيون) والقنب (الحشيش)، حيث تم استخدامه من طرف الآشوريين والفرس وسكان آسيا للحصول على الانشراح (الكيف)، حيث عرف الآشوريون خصائصها التخديرية منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وعرفت بلاد فارس في القرن الحادي عشر ميلادي وعرفته الهند قبلها بقرون كثيرة ، وأول طبيب عربي وصف التخدير بالقنب الهندي كان **ابن البيطار** وذلك في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) إلا أن شيوع مختلف أنواع المخدرات لم يعرف إلا بعد اجتياح التتار للعراق سنة 1285 ثم اتسع انتشاره بعد عزوهم للشام في أول القرن الثالث عشر الميلادي.(**شمس،1995،ص15**)

ونجد في العصور القديمة أن الناس قاموا بزراعة نباتات مخدرة لأغراض ترفيهية أو طبية فقد ورد في كتاب الحضارات القديمة آثار كثيرة تدل على معرفة الانسان بالمواد المخدرة منذ تلك الأزمنة البعيدة، حيث وجدت تلك الآثار على شكل نقوش على جدران المعابد أو كتابات على أوراق البردي المصرية القديمة أو كأساطير مروية تناقلتها الأجيال، فالهندوس على

سبيل المثال كانوا يعتقدون أن الإله **شيفا** هو الذي يأتي بنبات القنب من المحيط، ثم تستخرج منه باقي الآلهة ما وصفوه بالرحيق الإلهي.كما نقش الاغريق صورا لنبات الخشخاش على جدران المقابر والمعابد أما قبائل **الأنديز** فقد انتشرت بينهم أسطورة تقول بأن امرأة نزلت من السماء لتخفف آلام الناس وتجلب لهم نوما لذيذا وتحولت بفضل القوة الإلهية إلى شجرة الكوكا. **(سيف،1985، ص48)**

ولكن البدايات المعاصرة لاستخدام المخدرات خاصة في الغرب بدأت بالاستخدام الطبي للمخدرات، وكان الأطباء يصفون مركبات الأفيون كعلاج، بل أن أحد الأطباء كتب كتابا يبين فيه للأمهات متى وأين تستخدم المخدرات لعلاج أطفالها، وأدى جهل الأطباء حينئذ بالمخاطر التي يمكن أن تنتج عن إدمان هذه المواد إلى استخدامها على نطاق واسع لعلاج العديد من الأمراض والآلام ، وقد اتسع نطاق استخدام المخدرات إلى أن دخلت في كل علاج حتى مهدئات الأطفال ،وقد استخدم في الحرب الأهلية الأمريكية لعلاج حالات الإصابة حتى سمي الإدمان آنذاك مرض الجندي. وفي سنة 1898 انتجت شركة **باير** في ألمانيا من طرف العالم **هيلاشدرسر** مادة مخدرة جديدة ومعناها بالعربية البطولة على اعتبار أنها أقل خطورة وكانت هذه هي مادة **الهيروين** التي تبين أنها أكثر خطورة في الإدمان من **المورفين** الذي جاء بديلا عنه، وعندما أدرك الأطباء وعموم الناس مخاطر الإدمان كانت المخدرات قد انتشرت بشكل واسع جدا.

وهناك عشرات النباتات والفطريات التي تحتوي على كيميائيات مذهبة للعقل، أما الأمفيتامينات أو المنبهات والمنومات والمنشطات فقد تم اكتشافها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث صنع أول عقار منشط في ألمانيا عام 1887.

ومع مطلع القرن العشرين بدأ الأطباء والعلماء والمثقفون ينتبهون إلى خطورة المخدرات والأضرار التي تسببها للمتعاطي،حيث بدأت تتدفق على البلدان كميات ضخمة من الحشيش والأفيون من بلاد اليونان، وأقبل على تعاطيها كثير من فئات الشعب في الريف والمدن، بعد أن كان التعاطي محصورا في نطاق ضيق على بعض الأحياء الوضيعة في المدن، وذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عندما تمكن كيميائي يوناني من إدخال الكوكايين إلى مصر وتقديمه للطبقة العليا، ثم انتشرت بعد ذلك عادة تعاطي الكوكايين بسرعة امتدت إلى باقي الطبقات الأخرى من الشعب.**(المهندي، 2013،ص22)**، وعمد المسؤولون إلى محاربتها ومنعها بكل الوسائل الممكنة وارتفعت الأصوات الرافضة للمخدرات فأخذت بعض الحكومات تتجاوب مع تلك الأصوات حتى تساندت عدة دول أوروبية وعقدت مؤتمرا دوليا رسميا تمخض عنه أول قرار دولي يصدر علنا في أوروبا لمنع تدخين الأفيون،حيث وقعت عليه تسع دول أوروبية فقط، وكان ذلك عام 1909 ثم عقدت اتفاقية **لاهاي** عام 1912 التي تنص على منع تدخين الأفيون وبعدها في عام 1914 صدر قانون **هاريسون** في الولايات المتحدة الأمريكية الذي حرم بيع واستعمال الكوكايين والأفيون وكل مشتقاته وفي عام 1925 تم الاتفاق بين مجموعة من الدول للحد من التجارة بالأفيون ثم في عامي 1931 1936 وقعت الدول الأوروبية في **جنيف** اتفاقيتين للحد من تجارة المخدرات، وفي عام 1946 أصدرت منظمة الأمم المتحدة قرارا يقضي بمحاربة المخدرات بواسطة المنظمة، ثم توالت القرارات وتزايد عدد الدول المؤيدة لمنع انتشار المخدرات بكل صورها وأشكالها، وكانت اتفاقية عام 1961من أهم تلك الاتفاقيات حيث وقعت عليها 115 دولة ثم انظمت إليها دول أخرى كثيرة وتعرف هذه الاتفاقية **باسم الاتفاقية الوحيدة للمخدرات**.وسميت هكذا لأنها ألغت كل الاتفاقيات السابقة ماعدا اتفاقية عام 1936، وقد

أعطت هذه الاتفاقية الحق لكل دولة بأن تعدل جداول الاتفاقية الأربعة بنقل مادة ما من جدول مخدر شديد الخطورة إلى جدول مخدر قليل الخطورة والعكس بالعكس. (**الفار،2016، ص63**)